الأحد القادم

قصة بقلم ليث الواطي

الاوراق الخضراء المدببة كانت تنسلخ عن الغصن الذي اقتطعه وتغطي بقعة غير صغيرة من ممر الحديقة الرئيسي حتى بدأ الغصن اجرد معرى ، مبعثر الاجنحة ثم اجهزت عليه اصابعه المرتجفة وصدعته .. وقذفته بعنف تحت صف الاشجار الامامية .

ـ فاشست ....

وعاد الايقاع الرتيب الذي يبعثه اصطفاق حذائه بالارض ولكن بنغم اسرع .. واحس بالاختناق وبثقل الهواء الذي يتنفسه .. ان شيئا ما يعتصر قلبه ويشد أضلاعه . وسمع صوت عمته الدافىء .

ـ واخيرا ! الا تريد ان تدخل !؟

ـ بلى ...

ـ اسرع اذن ، اسرع .

واختلس نظرة اخرى الى الشارع العريض الممتد على جانبي الحديقة .. صحراء ، الناس قابعون في الجحور ، الحيوان الرهيب يحدق في كل الزوايا ... لا احد يأتيه بالخبر .. لماذا يتأخرون هكذا ؟ وشخص الى ساعته ، وظل يحدق فيها لكنه لم ير عقاربها الدابة . الزمن تجمد في مخيلته ومر شريط من الرؤى بسرعة في ذهنه .. رؤى مرعبة ، فظيعة ، وتصاعدت انفاسه متلاحقة ، لاهثة ، جافة .

ـ لتدخل يا عزيزي ، لم نعهد فيك الجزع .

ـ لست جزعا .

وسقطت نظراتها محرقة تكوي جبينه وتزيد اصابعه المرتجفة تشنجا . كانت نظراتها ذكية ، نفاذه ، احس تحتها بالعرى وبقليل من الارتباك لكنه اصر على التظاهر بعدم الاكتراث .

ـ المفروض ان لا تغادر حتى غرفتك .

ـ صحيح .

ـ لا بد انهم في الطريق الان .. سيرونها هذه المرة ـ هناء شجاعة وستكون موضع فخرنا جميعا .

ـ طبعا .

وجلس على طرف الكرسي . واشعل سيكارة اخرى ثم ارهف السمع « هل حقا سيرونها ! » وكسر عود الثقاب وسحقه على المنضدة « لا يهمني ما يفعلون بها » وتمنى لو لم يمسها احد منهم . « ولكنها ستقاوم بجرأة .. هناء شجاعة ... « لا اعرف » وتشنج وجهه « لا اعرف » وازداد ضغط كفه على الكرسي « لا اعرف » .

ـ سيكارتك ..

وعبأ سيكارته في فمه بضجر وفجأة التمع بريق عينيه .

ـ الا تسمعين ..؟ لقد جاءوا .

وقفز مستفسرا ..

ـ هـا !

ومع انه قرأ الجواب في محياهم ، على سحنة ام هناء المتغضنة . في التجاعيد العميقة التي تنساب عبر محيا ابيها . الا انه الح عليهم بعناد ، مستنجدا بابنة عمته سميرة التي رافقتهما . ثم صرخ بنفاد صبر .

ـ تكلموا ..

ـ المواجهة ممنوعة .

وسقطت كفه على المنضة قبل ان يسقط جسمه على الكرسي بتداع واعياء . نفس المقولات « اعادوا على مسمعه ما بذلوه من جهود » . عائلات كثيرة تبذل المستحيل لدى الحرس . ولم تثمر كل المحاولات ، الاجابات كانت نتنة ، مليئة بالعفن ، وسحق على اسنانه والتهبت عيناه .

ـ ولكن الم تتأكدوا من وجودها فقط ؟

وهز الاب رأسه بيأس واطرقت الام الى الارض ونظرت اليه سميرة بعطف لا يطاق . لا بد انها تقدر مدى الالام التي تعذبه ، وفكر « لست اقل من سميرة شجاعة ولو انها فقدت زوجها ! » ولما اعاد النظر الى محياها شاهد ابتسامة عذاب مريرة ترتسم على شفتيها ، على شفتيها فقط . وبدا له في تلك اللحظة كأن اعتزازا ما كان يخالط ابتسامتها . لقد اصبحت هادئة ، يوحي منظرها بما يشبه الاطمئنان منذ ان اعيد بها الاتصال وكلفت بمواصلة العمل قبل حوالي اسبوع .. وتذكر موعد المساء واحس بدفق من الطمأنينة يكتنفه .. وخطرت بذهنه بعض الخطط الصغيرة التي يحدد بها خط سيره هذه الليلة ... وفكر « ان ركوب السيارة يعرضه للتفتيش ... هويتك ! » كلا ، الافضل ان يتجنب الاحتكاك بهم . يجب أن لا تتسلل تلك الايادي الرقطاء الى جيوبه ... وغرق في لجنة عميقة اختلطت فيها امانيه بخططه وشعاراته ، وكان يطرق سمعه رشاش من الحروف والاصوات المتناثرة التي زادت من تشتته واستفسر من سميرة عما اذا استبقت احد الكتب في متناول اليد ..

ـ كلا .

ـ ولكن بعض الكتب ادبية بحتة !

وحدجته بنظرة عتاب وتقريع . خفض بصره ليتخلص منها . وفكر ان يدفع عن نفسه تهمة الغباء « ليست هذه نظراتك الوادعة .. ان اصابع اتهام عنيدة » وداري تمزقه بابتسامة غامضة .. كان يعرف ان لسميرة مكانة اثيرة في نفسه .. فاضافة الى ذكريات نشأته معها فانها هي التي عرفته بخطيبته هناء وسميرة هي ايضا التي اعادت له الاتصال ونظمت له موعد الليلة ، وتمنى لو يؤاسيها ، لو يسمع ضحكتها الرنانة تلك ، لو يمسح عن جفنيها هذا الاسى الثقيل الذي يجثم عليها منذ حادث الاغتيال الفظيع .. لماذا يتخبط قلبه وتجف حنجرته !؟ لقد عادت الصور الرهيبة تتراءى له وتطرق ذهنه بالحاح فتثير غضبه وحقده ، وحاول ان ينتزع من رأسه هذه الصور المرعبة .. هناء معلقة تتلوى تحت السياط !.. والتيار الكهربائي او ربما ... « انذال » وفكر « مع ذلك .. مهما تبلغ خستهم فلن تدنس طهارة هناء .. لو اعرف مكانها » الرذاذ لا زال يتساقط على اذنيه .. عم يتكلمون ؟ نفس المشكلة .. كانت سميرة بارعة في زرع الايمان بقلوبهم وفي انضاج حقدهم ، لقد تعلمت الكثير . ان احزانها الكثيفة نفذت الى اعماقها فلم تعد تطفح . وبذلك اكتسبت طابع القداسة والسمو واغنتها بتجربة غنية تعينها على التزام جانب الحكمة في امورها ، وتساءل في سره « الا تشعر سميرة بالتوحد والغربة !؟ »

بسط الظلام ظلاله على المدينة ونشر الكآبة في كل زواياها . وارجل الاخطبوط تسللت بحمى في كل مكان .. العيون الجاحظة ذات الجفون المتقرنة تتلصص على المارين وترصد حركاتهم .. ما ابعد المكان ! ان ركوب سيارة يتعارض مع تدابير الصيانة . وظل يسير ... عيناه شاخصتان الى الامام ابدا ، قامته معتدلة ورأسه مرتفع قليلا . ان انسانيته تفرض قيمها بشكل لم يعهده من قبل . واحس ان قواه

تتجسد وافكاره تتبلور .. قدماه تطرقان الارض بثبات . وانعطف نحو اليسار .. الشارع الاخير . يكاد يرى الشقة من اول الشارع . وحث خطاه . لو يقفز مباشرة الى داخل الشقة . والقى نظرات متفحصة حول المكان وازداد اقترابه . ولما عبر الشارع استرق نظرة الى الخلف ثم ما لبث ان دس نفسه بين جداري السلم المتقاربين وارتقى درجاته قفزا .. الباب المؤشر الى اليمين . انه مفتوح قليلا . لا بد انهم ينتظرونه . والقى نظرة خاطفة الى ساعة يده ثم دق الجرس واندفع الى الداخل ..

ـ قف !!

رشاشات ..! مسدسات ، تصوب فوهاتها نحو صدغة ، وذهل والتقط انفاسه ليقول شيئا . لكن الضربات عاجلته .. لكمات . عصي غليظة . مقابض المسدسات والرشاشات . والرفس !؟ ما افظعهم .. انهم يرفسون كالبغال . وتمت عملية اخرى . واحدة من مئات العمليات التي تجري يوميا .. ونقل الى احد محاجر التعذيب لاعتصار حياته.. او كرامته .. وكان الليل ، وجاءوا مع الظلام لكنه قد ابتلع لسانه فأثار جنونهم واعجزهم .. هؤلاء الرجال الورقيون لم ير او يسمع بمثلهم في بلاد اخرى . قد يتمتع المحققون على اختلافهم بشيء من الفطنة او بقليل من الشجاعة . الذين حققوا معه كانوا فزعين اغبياء ، في صرخاتهم حشرجة وفي ضجيجهم هوس ، يحنقون فيحركون فرق تعذيب تعمل بلا وعي ، ثم يتحرك فيهم الوحش فينقض على انسانهم فيسحقه .. ويهجمون على الضحية ينهشونها بأسنانهم وينشبون فيها اظفارهم .. ويزدادون ضياعا في متاهة لا حدود لها .. الطريق الى الحرف المقدس ظل مغلقا . الاباء قطع السياط والدماء اضاعت معالم الطريق .. وانتهت الليلة . وعبىء في احد المواقف . حشو جديد ، واستقبله الاخرون ومسحوا جراحه ولطفوا اورامه .. واستلقى في فسحة من الغرفة لم يفز بمثل سعتها في ليلة اخرى ، ولم ينم الا عند انبلاج الصباح . ولما فتح عينيه في الضحى احس بتحجر اجفانه وحاول ان يعاود النوم فلم يستطع . آلام التورم والدرن تنفذ في اغوار جسده ، وكان لحمه قد هرس وعظامه قد سحقت . لكن الابتسامات المشرقة التي احاطت به شدته وعمقت يقظته .

ـ صباح الخير ..

واجال طرفه بينهم .. وجوه ودودة قريبة من القلب وان لم يتعرف عليها من قبل وسألوه ان كان بحاجة لشيء ما .

ـ كلا شكرا .

ـ احتفظنا لك بقطعة الجبن مع الخبز .

ـ لا اشعر بالجوع .

وسرى فيهم حس المشاركة كالتيار .. وحدثهم عن الكمين الذي وقع فيه وعن ليلته . حدثهم عن ـ الوضع ـ في الخارج واراء الناس واحتمالاتهم . وظل يجيب على اسئلتهم بلا سام .. من الملذ ان يأتي الانسان بأخبار يراها الاخرون طرية منعشة ويتحدث اليهم بمفاجآت لم يسمعوا بها .. ومرت فترة صمت وقطب جبينه .

ـ لقد وعدوا بأخذي هذا اليوم ايضا .

ـ انهم لا يأتون قبل الظلام .

ـ الا توجد وسيلة للاتصال ؟. كيف يعلم اهلي ؟

ـ سيعلمون .. العائلات تسأل كل المواقف .

« ربما لا يعطي الحرس معلومات عن وجودنا » .. ومرة اخرى احس بالعزلة لقد سألوا كثيرا عن هناء ، ليست هنا .. ممنوع .. لا توجد . » ولم يهتدوا اليها .

ـ وهل يعطون معلومات عن وجودنا ؟.

ـ ليس باستطاعتهم اخفاؤنا الى الابد .

ثم علم من الحديث انهم سيتمكنون من رؤية اهاليهم واستلام ملابسهم يوم الاحد .. الاحد القادم .. بعد ثلاثة ايام فقط . وفكر فيما يمكن ان يجلبه الاحد الموعود . وشرد ذهنه وتعلقت نظراته في اللاشيء .. ربما يرونها بل لا بد ان يروها . سيما سميرة فهي لن تتخلى عنها . ستعرف كيف تعرف عليها . « وستحدثني كثيرا عنها » الا ان سميرة لديها مشاغل عديدة وتساءل مرة اخرى « الا تشعر سميرة حقا بالتوحد والغربة . » ومرت الايام ثقيلة .. كابوس كثيف .. استفزاز وشتائم وعزلة . وجاء الاحد ، عقارب الساعة تدور ببطء ، واحس بقلق حاد . صدأ يجثم على صدره « ربما لا يهتدون اليه .. » وجاءت سميرة مع امه ! وصافحته واحس بورقة مطوية بين كفيها وظلت كفاهما متشابكتين وهمست له :

ـ رسالة من هناء .

وتجمدت الحروف على لسانه .. وظلت امه تقبله بشراهة . الشرطي يستحثهم على انهاء المقابلة ... ولم تحدثه سميرة عن هناء بل عن خطة ، واتجه اليها بكل جوارحه .. خطة !؟ سميرة تشدد على مخارج الكلمات وتؤكد على كل حرف فيها .

ـ ولسوف ينتظرونك عند السور الجانبي .

ـ قلت غدا . اليس كذلك ؟

ـ بلى .. غدا مساء .

بغداد

ليث الواسطي

صدر حديثا

عاشق من افريقيا

مجموعة شعرية جديدة يعود بها الشاعر المبدع

محمد الفيتوري

الى قرائه الكثيرين بعد غياب بضعة اعوام

نكهة جديدة في اسلوب متطور

الثمن ليرتان لبنانيتان

منشورات دار الآداب